**بسم الله الرحمن الرحيم**

**والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.**

ما زال الكلام في بَابِ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ، ووصل الكلام إلى الحديث الثالث.

الحديث الثالث[١]: **(مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ : جِئْتُ إِلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْأَلُهُ عَنِ التَّوْحِيدِ ، فَأَمْلى عَلَيَّ : (الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً، وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، لَامِنْ شَيْءٍ ؛ فَيَبْطُلَ الِاخْتِرَاعُ، وَلَا لِعِلَّةٍ ؛ فَلَا يَصِحَّ الِابْتِدَاعُ، خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، مُتَوَحِّداً بِذلِكَ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ، وَحَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِهِ، لَاتَضْبِطُهُ الْعُقُولُ، وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ، عَجَزَتْ دُونَهُ الْعِبَارَةُ، وَكَلَّتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ، وَضَلَّ فِيهِ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ ، احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ، عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَوُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ ، وَنُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ، لَاإِلهَ إِلَّا اللهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ).**

تضمّنت هذه الرواية الرضويّة الشريفة على عدّة مضامين في بيان التوحيد:

المضمون الأوَّل: قال عليه السلام: (**الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ**)، والفاطر غير الخالق، بعض الآيات القرآنية عبّرت بالخلق كقوله تعالى: (**خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**)[٢]، وبعضها الآخر عبّرت بالفِطر كقوله تعالى: (**فاطِرُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ**)[٣] والفِطر يختلف عن الخلق.

فالخلق: هو عبارة عن الإيجاد، أوجدها بعد أن لم تكن موجودة، هذا يعبّر عنه بالخلق.

أمّا الفِطر: أوجدها على طبيعة واحدة، فعندما يُوجِدُ الأشياء بطبيعةٍ واحدة وبنهجٍ واحد هذا يسمّى بالفِطر، ولذلك وصف تبارك وتعالى إيجاده السماوات والأرض بأنَّه خلق، ووصف تكوينها على طبيعةٍ واحدة بأنَّه فِطر، ولذلك جاء في وصف الدِّين أيضًا أنَّه قال تبارك وتعالى: **( فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ**

---

[١] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٦/ ح٣.

[٢] سورة النحل، آية ٣، صفحة ٢٦٧.

[٣] سورة الشورى، آية ١١، صفحة ٤٨٤.

**عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)**[٤]، أي أنَّ جميع النّاس خُلقوا بجبلّةٍ واحدة واتجاهٍ واحد نحو الله تبارك وتعالى، وهذا ما يعبّر عنه بفِطرة التوحيد.

المضمون الثاني: قال (**الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً، وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً**) فاطر الأشياء إنشاءً ومبتدعها ابتداعًا، أي أنّه تبارك وتعالى عندما أوجد الأشياء أوجدها بنحوين:

النحو الأوَّل: أنَّه أوجدها بلا مادّة، وهذا ما يعبّر عنه بالإنشاء، أوجدها بدون مادّة.

النحو الثاني: أنّه أوجدها ابتداع، يعني أوجدها بلا صورة، فهو عندما خلق الأشياء خلقها بمادتها وصورتها من دون سبق مادةٍ استفاد منها، ومن دون سبق صورةٍ حاكاها أو مشى عليها، وهذا ما يعبّر عنه بالابتداع، لذلك ورد في خطبة السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وآلها: (**ابتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قبلها**)[٥] يعني إيجاده للأشياء كان ابتداعًا لا بمادّة سبقتها ولا بصورةٍ سبقتها، ابتدعها بما لها من مادّة وصورة.

المضمون الثالث: قال: (**بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ**) الله تبارك وتعالى عندما أوجد هذا الكون أوجده -بلا إشكال- بقدرة، إذ لا يمكن إيجاد الكون بلا قدرة، لولا أنَّه تبارك وتعالى يمتلك القدرة لما أوجد هذا الكون، فإيجاد الكون كان بقدرته، لكن كانت القدرة في إطار الحكمة، ليس إيجاد الكون بأيّ قدرة، بل بقدرةٍ في إطار الحكمة، بمعنى أنَّه أوجد الكون واضعًا كلِّ شيء موضعه، واضعًا كلِّ شيء في مسار غايته، هذا الكون كلّه خلق لأجل غايةٍ معيّنة، بما أنَّ الكون والوجود خُلِقَ لغايةٍ معيّنة فقد وضِعَ كلُّ شيءٍ في هذا الكون من أصغر ذرة إلى أعظم مجرّة ضمن ما يوصله إلى تلك الغاية، وهذا معنى أنَّه خلقه بالحكمة، أي خلقه بقدرته لكن ضمن حكمته تبارك وتعالى،

المضمون الرابع: قال: (**مُتَوَحِّداً بِذلِكَ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ**) لا يشاركه أحد (**لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا**)[٦] ما هو الغرض من إيجاد هذا الوجود كله؟ وما هو الهدف من إيجاد هذا الوجود كله؟

لإظهار حكمته من خلال بديع صنعه (**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ**

---

[٤] سورة الروم، آية ٣٠، صفحة ٤٠٧.

[٥] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٩ - الصفحة ٢٢١.

[٦] سورة الأنبياء، آية ٢٢، صفحة ٣٢٣.

**وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)**[٧]، بديع الصنع وإتقان الصنع، كله مظهر لحكمته، خلق الخلق لكي يتعرّف الخلق على بديع حكمته (**وَحَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِهِ**)، كل الكون خلقه فقير، يعني خلق كل شيء وهو يفتقر إليه لم يخلقه غنيًا ولم يخلقه مستقلًّا عنه، بل خلق الكون كلّه بكل عوالمه، لكن وضع في كل شيء حاجة إليه وافتقارًا إليه، كي يكون ذلك تحقيقًا لربوبيته تبارك وتعالى، فوضع لكلِّ شيءٍ ضعفًا وحدًّا وفقرًا، ليبقى كلُّ هذا الكون مفتقراً إلى ربوبيته، فالكون مظهر لحكمته وفي نفس الوقت مظهرٌ لحقيقة ربوبيته تبارك وتعالى، ولذلك قال: (الحمد لله ربِّ العالمين).

المضمون الخامس: قال: (**لَامِنْ شَيْءٍ ؛ فَيَبْطُلَ الِاخْتِرَاعُ**)، قلنا خَلَق الكون من دون شيء سابق، لو كان هناك شيء سابق لم يكن مخترعًا بل لكان تقليدًا، (**وَلَا لِعِلَّةٍ ؛ فَلَا يَصِحَّ الِابْتِدَاعُ**)، المقصود بالعلّة العلّة الصورية، يعني ليس هناك رسم ومخطط مشى عليه، لو كان هناك رسم ومخطط مشى عليه بمعنى العلّة الصورية لم يكن ما خلقه ابتداعًا، ولا لعلّة فلا يصحّ الإبتداع.

المضمون السادس: قال: (**خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ**)، هنا في هذه الكلمة إشارة إلى إبطال ما زعمه الدهريون، وإلى إبطال أيضًا ما ذهب إليه أكثر الفلاسفة من أنَّ تقدّم الله تبارك وتعالى على العالم تقدّم بالرتبة لا تقدّم بالإيجاد، أغلب الفلاسفة يقولون بأنَّه كما أنَّ الله قديم فالعالم أيضًا قديم، وكما أنَّ الله أزلي العالم أيضًا أزلي، فعلاقة الله بالعالم علاقة المفيض بالفيض، كعلاقة النار بالإحراق، كما أنَّ عليّة النار للإحراق هي عُلقة إفاضة، النار أفاضت الإحراق ولا يُتصوّر إحراق ما لم تكن هناك نار، ولا يُتصوّر نارٌ تامّة إلَّا ومعها إحراق، يعني لا يُتصوّر تفكيك بحسب الزمن بين العلّة المفيضة والمعلول المفاض، ولذلك يقول الفلاسفة العلّة والمعلول متعاصران زمنًا متفاوتان رتبةً، يعني لا يتصوّر وجود علّة تامّة بدون معلول معها، ولا يتصوّر وجود معلول بدون علة معه، فهما متعاصران زمنًا وإن كانا متفاوتين رتبةً، حيث إنَّ العلّة مُفيض والمعلول مُفاض، قالوا هكذا علاقة الله بالعالم، الله تبارك وتعالى أيضًا مُفيض لهذا العالم، فبما أنَّه تبارك وتعالى علّة تامّة لا نقص فيها إذن المعلول كان معها، يعني لم يمرّ آنًا على العلّة إلَّا ومعها المعلول، كما أنَّ هذا المعلول لا يُتصوّر له حدوث ولا بقاء إلَّا مع العلة إذن بالنتيجة كما أنَّ الله أزليٌّ قديمٌ لم يسبقه عدمٌ، فالعالم أيضًا أزليٌّ

---

[٧] سورة يس، آية ٤٠، صفحة ٤٤٢.

قديمٌ لم يسبقه عدم، فعليّة الله للعالم هي عليّة الإفاضة، وهذه العليّة تعني أنَّ الله تبارك وتعالى علّة موجَبة وليست علّة موجِبة، الله تبارك وتعالى إذا كانت علقته بالعالم علاقة المفيض والفيض وهما متعاصران زمنًا غاية ما في الأمر متفاوتان رتبةً، إذن الله تبارك وتعالى علّة موجَبة يعني لا يُتصوّر له عليّة إلَّا ومعلوله وهو العالم معه، وهذا معنى أنَّه علّة موجَبة، أي علّة مقهورة مقسورة، فكما أنَّ عليّة النار للإحراق عليّة قسريّة عليّة قهريّة على النار، فعليّته تبارك وتعالى لهذا العالم عليّة قسريّة عليّة قهريّة.

**إذن**: هذه العليّة المتصوّرة لله تبارك وتعالى بالنسبة للوجود يبطلها قوله عليه السلام: (**خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ**)، فلا توجد هناك علقة الإفاضة ولا توجد هناك علقة مثلاً النار بالإحراق، بل خلق ما شاء كيف شاء، يعني وجود الوجود بأسره خاضع لاختياره وخاضع لإرادته، فخالقيته ليست من باب العلّة والمعلول، بل خالقيته من باب الفاعل والفعل، خالقيته تبارك وتعالى عبارة عن الابتداع والاختراع، لا أن خالقيته عبارة عن الإفاضة، كما يفيض البحر الماء، وكما تفيض الشمس الضوء، وكما تفيد النار الإحراق، بل خالقيته فاعليةٌ على نحو الابتداع والاختراع.

**إذن**: كان الله ولم يكن معه شيء، فخلق العالم بإرادته تبارك وتعالى، خلق ما شاء كيف شاء.

المضمون السابع: ثمَّ قال: (**لَاتَضْبِطُهُ الْعُقُولُ، وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ**)، كيف معرفتنا بالله تبارك وتعالى، هل معرفتنا به معرفة سلبية؟ بمعنى أنَّ معرفتنا به ليس معناها إلَّا الليس، عندما نُسأل ما هو الله؟ نقول: الله ليس، أي ليس جاهلًا، وليس عاجزًا، وليس جسماً، وهكذا، كأنّ معرفة الله مجموعة من الليسات، مجموعة من النفي، فالله ليس عاجزًا، وليس جاهلًا، وليس جسماً، وليس صورةً.

نقول: لا، ليست المعرفة بالله تبارك وتعالى معرفة سلبيّة، بل المعرفة بالله تعالى معرفة إيجابيّة ثبوتيّة، ولذلك له صفات جمال وله صفات جلال، وصفات جماله هي عبارة عن معرفته الثبوتيّة الإيجابية، لهذا قال: (**لَاتَضْبِطُهُ الْعُقُولُ**)، العقول التي لها القدرة على التحليل والتفكير، مع ذلك لا تستطيع أن تصل إلى تحليل حقيقته وتحديد كنهه تبارك وتعالى.

(**وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ**)، الأوهام تختلف عن العقول، فالوهم لا يدرك إلَّا المحسوسات وما يُنتزع من المحسوسات، الوهم يتصوّر الأشياء المحسوسة وينتزع منها صور أخرى وخيالات أخرى ويبني عليها، الله

تبارك وتعالى كما أنَّ العقول بقدرتها التحليلية لا تستطيع أن تصل إلى كُنهِ حقيقتهِ تبارك وتعالى، كذلك الأوهام لا يمكن أن تنتزع له صورة، لأنّها لا تتصور إلَّا المحسوسات وما يُنتزع منها.

**(لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)** الأبصار أعمّ من الأبصار الجوارحية أو الجوانحية، **(وَلَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَار)** هذه الكلمات كلها تشير إلى أنَّ معرفة الإنسان بربه وإن كان لها نصيب ثبوتي، حيث إنَّ الإنسان يعلم أنَّ الله عليم قادر حكيم حي، هذه صفات ثبوتيّة، هذه العبارات تريد أن تقول مع أنَّ الإنسان يعرف عن الله صفات ثبوتيّة جمالية لكن مع ذلك لا يستطيع بهذه الصفات أن يصل إلى كنهه وتحليل حقيقته، فإنه مما تعجز عنه العقول والأوهام.

المضمون الثامن: قال: **(عَجَزَتْ دُونَهُ الْعِبَارَةُ، وَكَلَّتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ، وَضَلَّ فِيهِ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ ، احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ)**، وهذه العبارة تُقرأ على نحوين:

النحو الأوَّل: المحجوب تَصيرُ مبتدأ، يعني: هو محجوبٌ احتجب بغير حجاب، هو مستورٌ استتر بغير ستر، فمحجوب ومستور خبر لمبتدأ محذوف هو محجوب احتجب بغير حجاب، هو مستور استتر بغير ستر.

النحو الثاني: ويمكن أن تُقرأ بأن تكون محجوب ومستور صفة للحجاب، احتجب بغير حجاب محجوب، أي الحجاب محجوب، ومعنى أنَّ الحجاب محجوب، هذا التعبير عربي يعبّر عن شدّة الغلظة، عندما نقول الحجاب محجوب يعني الحجاب أيضًا محجوب بحجاب، والحجاب الآخر أيضًا محجوب بحجاب، فعندما تكون الحُجُب متداخله يكون الحجاب أكثر غلظه وأكثر خفاء، لذلك عندما يقول: **(احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ)** يعني احتجب بغير حجاب كثيف يمنع من الوصول إليه تبارك وتعالى، **(وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ)**، والفرق بين الحجاب والستر، الحجاب كناية عن الحجاب العقليّ، والستر كناية عن الستر الحسّي، كما أنّه تبارك وتعالى استتر بدون ساتر حسّي، كذلك احتجب بدون حاجب عقلي، والمقصود بهاتين العبارتين هو ما ورده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام **(ظاهر في بطونه باطن في ظهوره)**، إشارة إلى الآية المباركة: **(هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ)**[٨]، وإشارة إلى ما ورد من أنّه جمع الأضداد، فهو في عين ظهوره باطن وهو في عين بطونه ظاهر، في الوقت الَّذي ظهر لكل مخلوقاته، فقال

---

[٨] سورة الحديد، آية ٣، صفحة ٥٣٧.

تبارك وتعالى: **(وَفِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)**[٩]، يعني أنا ظهرت لكم في كل شيء وتعرفت لكم في كل شيء، في عين ظهوره مع ذلك الإنسان مهما حاول أن يصل إلى كنه حقيقته لا يستطيع، فهو ظاهر في عين بطونه وباطن في عين ظهوره.

المضمون التاسع: قال: **(عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ)** لا ظاهرية ولا باطنية **(وَوُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ)** يعني بغير صورة زائدة على ذاته **(وَنُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ، لَاإِلهَ إِلَّا اللهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)**.

ما معنى عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة؟ يعني الله تبارك وتعالى دلَّ الخلائق على نفسه بلا واسطة **(يا من دلَّ على ذاته بذاته)**[١٠]، فالله تبارك وتعالى لم يستخدم في الدِّلالة على نفسه واسطة ولا معرّف ولا طريق، بل دلَّ الخلائق على نفسه بنفسه، فهو عُرف بغير رؤية ووصف بغير صورة، يعني عرّف الخلائق على نفسه بدون واسطة بينه وبينهم، دلَّ على ذاته بذاته، فغرس التوجّه إليه في نفس كلّ مخلوق، فكلّ مخلوق غُرِسَ في داخله التوجّه إلى الله تعالى، فمعنى أنَّه غرس في كل مخلوق التوجّه إليه أنَّه لم يجعل واسطة بينه وبين أحد.

**(وَنُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ، لَاإِلهَ إِلَّا اللهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)** والكبيرهو العظيم الَّذي لا خدش في عظمته، المتعال بشرف ذاته تبارك وتعالى، هذا بالنسبة إلى الحديث الثالث.

الحديث الرابع والحديث الخامس مرَّ ذكرهما في جلسةٍ سابقة نقرأهما سريعا لنصل إلى الحديث السادس.

الحديث الرابع[١١]: **(مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، قَالَ: وَصَفْتُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ)** أي الإمام الكاظم **(عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ الْجَوَالِيقِيِّ، وَحَكَيْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، أَنَّهُ)** تعالى **(جِسْمٌ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَايُشْبِهُهُ شَيْءٌ، أَيُّ فُحْشٍ أَوْ خَنَاً أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَصِفُ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ بِجِسْمٍ أَوْ صُورَةٍ، أَوْ بِخِلْقَةٍ، أَوْ بِتَحْدِيدٍ وَأَعْضَاءٍ؟ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً)**.

---

[٩] سورة الذاريات، آية٢٠و ٢١ ، صفحة ٥٢١.

[١٠] مقطع من دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام.

[١١] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٧/ ح٤.

الحديث الخامس[١٢]: **(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الرُّخَّجِيِّ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي الْجِسْمِ ، وَهِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « دَعْ عَنْكَ حَيْرَةَ الْحَيْرَانِ ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَيْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهِشَامَانِ)**، يعني لا هشام بن الحكم الَّذي ادّعى أنَّ الله تبارك وتعالى جسم، ولا هشام بن سالم الجواليقي الَّذي ادّعى أنَّه صورة، تبارك وتعالى، فليس القول ما قال الهشامان.

الحديث السادس[١٣]: **(مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ ظَبْيَانَ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ)** يعني الإمام الصادق **(عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَقُولُ قَوْلًا عَظِيماً إِلَّا أَنِّي أَخْتَصِرُ لَكَ مِنْهُ أَحْرُفاً)** يعني الحديث عن هشام فيما قال أنَّ الله تبارك وتعالى جسم أو صورة امتدَّ من زمان الإمام الصادق إلى زمان الإمام الكاظم عليهما السلام **(فَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ شَيْئَانِ)** يعني هشام بن الحكم عندما قال أن الله جسم عنده استدلال على ذلك، لأنَّ الأشياء شيئان **(جِسْمٌ ، وَفِعْلُ الْجِسْمِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّانِعُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيْحَهُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ ، وَالصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ ؟ فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ ، احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ ، وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ ، كَانَ مَخْلُوقاً)**.

المطلب الأوَّل: من هذا الحديث الشريف مدّعى هشام -إذا ثبت هذا المدّعى عنه- فماذا يريد أن يقول هشام، عندما يقول بأنَّ الله جسم؟ ويريد أن يستدلَّ على ذلك كما نقل عنه يونس بن ظبيان، وأما لعلَّ هذا المدّعى قبل استبصاره أو قبل فهمه، هذه مسألة أخرى بحثناها في الجلسة السابقة.

فيمكن أن يُتصوّر مدّعى هشام بن الحكم على ثلاثة وجوه:

الوجه الأوَّل: أنّه سار على طبق ما يتصوّره أغلب الناس، فإنَّ أغلب الناس عندما يقول (الله) تنقدح في ذهنه صورة، لأنَّه مستحيل الإنسان يفكّر بدون صورة، فلا يعقل للإنسان أن يفكّر بدون صورة، ولذلك

---

[١٢] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٨/ ح٥.

[١٣] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٨-٢٥٩/ ح٦.

يقال: أوّل ما يخرج الجنين من بطن أمه لا توجد عنده صور ولا يستطيع أن يفكّر، **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**[١٤]، فلا يمكن للإنسان أن يفكّر في شيء بدون صورة.

**إذن**: عندما يقال الله ينقدح في ذهنه صورة، فكأنّما هشام سار على طبق هذا التصوّر لكل إنسان، أنّه إذا قيل الله انقدحت في ذهنه صورة، حيث إنَّ الصورة التي تنقدح في ذهن الإنسان لا تخرج عن شيئين: إمّا جسم أو فعل، يعني لا يتصوّر الإنسان صورة ليست جسم ولا فعل، فبما أنَّ ما يتصوّره الإنسان دائماً لا يخرج عن هذين، إمّا يتصوّر جسم أو فعل، إذن الله أيضًا لا يخرج عن أحدهما إمّا هو جسم أو هو فعل، وحيث إنّه تعالى ليس فعلاً، لأنَّ الفعل يحتاج إلى فاعل ومحل، ولا يعقل فيه تبارك وتعالى احتياجه للفاعل والمحل، إذن تعيّن أن يكون جسمًا، هذا الوجه الأوَّل لمدّعى هشام بن الحكم.

الوجه الثاني: أنَّه يقول: كل موجود إمّا فاعل أو فعل، وحيث لا يعقل أن يكون الله فعلاً لاحتياجه إلى الفاعل، إذن هو فاعل، وإذا كان فاعلًا فالفاعل إمّا بلا أدوات أو بأدوات، يعني الفاعل عندما يريد أن يفعل إمّا عنده أدوات يعتمد عليها في الفعل أو بدون أدوات، ولا يمكن أن يكون فاعلًا بدون أدوات، لأنَّه لو كان الفاعل بدون أدوات كيف ينفصل عنه فعله؟ إذا لم يكن واسطة بين الفاعل وبين فعله، يعني أنا الآن إنسان لو لم يكن واسطة بيني وبين كلامي، أو لو لم يكن واسطة بيني وبين المشي، كيف يصدر مني الكلام والماشي؟

إذن: لا بدّ من واسطة سواءً كانت جوارح أو جوانح، بالنتيجة لا بدّ أن تكون هناك واسطة، لأجل وجود الواسطة انفصل عني الفعل، يعني صار الفعل شيء وأنا شيءٌ آخر، فإذا قلتم بأنَّ الله فاعل، إن كان فاعلًا بلا أدوات إذن كيف يتميّز فعله عنه؟ وإذا قلتم فاعل بأدوات صار جسماً، لأنَّه لا معنى للجسم إلَّا ما كان فعله صادراً بأدوات، صادراً بما يرتكز عليه، وهذا هو المطلوب، الجسم ما كان فعله أدوياً يعني معتمداً على الواسطة الأدوية بينه وبين فعله.

الوجه الثالث: نقول فيه: أنَّ هشام بن الحكم مسلّم بأنَّ الله تبارك وتعالى حقيقة عينية وجودية لا تفتقر

---

[١٤] سورة النحل، آية ٧٨، صفحة ٢٧٥.

إلى أدوات ولا إلى وسائط، إنَّما أطلق عليها الجسم مجازاً لا أكثر من ذلك، يعني هو لا يريد بالجسم معناه عند إطلاقه عليه تبارك وتعالى، وإنَّما أطلقه عليه مجازاً، فكأنّه قال: أنَّ الله تبارك وتعالى إمّا حقيقة قائمة بذاتها أو فعل، وحيث إنّه ليس فعل فهو حقيقة قائمة بذاتها، وهذه الحقيقة القائمة بذاتها عبّر عنها بأنّها جسم.

المطلب الثاني: أنَّ الإمام ردَّ هذا الكلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **(وَيْحَهُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ ، وَالصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ ؟ فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ ، احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ ، وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ ، كَانَ مَخْلُوقاً)**، ماهو المقصود من هذا الكلام؟

نقول: كلُّ الأشياء إمّا جسم أو صورة أو مثال، الجسم ما هو موجود في عالم المادّة، والصورة ما هو موجود في عالم البرزخ، يقولون في عالم البرزخ صور بلا مادّة، صور برزخية، أو مثال كما يقال أنَّه في عالم الذر كانت الخلائق أمثلة، فكلُّ شيء هو إمّا جسم أو صورة أو مثال، وعلى أيّ حال سواءً كان الموجود جسماً أو صورةً أو مثالاً فهو محدود، من مقومات الجسم أن يكون محدوداً، فلا بدّ أن تكون له أبعاد ولا بدّ أن تكون له حدود، فالجسم متقوّم بأنَّ له أبعاد وله حدود، وبما أنَّ الجسم له حدود وإلَّا لكان في كل شيء، أي لو كان هناك جسم ليس له حدود لكان هذا الجسم منتشر في كل الأشياء.

إذن: لا محالة الجسم له أبعاد وحدود، وإلَّا لكان سارياً ومنتشراً في كل شيء وهذا غير معقول، فبما أن الجسم له حدود فلا يعقل أن يكون الله جسماً، لأنَّ الله لا يعقل عليه الحدّ، والسرُّ في ذلك أنَّ الشيء الَّذي يقبل الحدَّ هو ما يقبل الزيادة والنقص فيأتي الحدّ يضعُ حسم لا للزيادة ولا للنقص، فلا بدّ أن يكون الوجود في حدِّ ذاته مرن يقبل الزيادة ويقبل النقص، فيأتي الحدّ ليضع حسماً لا للزيادة ولا للنقص، فكل ما يعرض عليه الحدَّ لا بدّ أن يكون في حدِّ ذاته قابلاً للزيادة والنقص، وإذا كان الموجود في حدِّ ذاته قابلاً للزيادة والنقص كان مخلوقاً، لأنَّه إذا كان قابلاً للزيادة والنقص احتاج إلى الحدّ وإذا افتقر إلى الحدّ احتاج إلى غيره الَّذي يهبهُ الحدَّ، وبما أنّه يحتاج إلى غيره ليهبهُ الحدَّ فهو مخلوق.

**إذن**: مقتضى الجسميّة المحدوديّة، ومقتضى المحدوديّة المخلوقيّة، لذلك لا يعقل أن يوصف الله بأنَّه جسم تبارك وتعالى. بقية الرواية يأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالى.

**والحمد لله ربِّ العالمين وصلّى اللهُ على محمدٍ وآلهِ الطيبينَ الطاهرين.**